

الأنس والوحشة من الموت

وعن الإمام العسكري عليه السلام: دخل علي بن محمد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: «يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، رأيته إذا اتسخت وتفسدت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في حمام يزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا ابن رسول الله، قال: فذاك الموت هو ذلك الحمام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كل غم وهم وأذى، ووصلت إلى كل سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسبيله»

٣- الخوف من العقاب

ومثل هذا الخوف يلاحق المذنبين المؤمنين بالآخرة، فيخافون أن يحين حينهم وهم مثقلون بالآثام والأوزار، فينالوا جزاءهم، ولذلك يودون أن تتأخر ساعة انتقالهم إلى العالم الآخر. عن الإمام علي عليه السلام: «لا تكن ممن يكره الموت لكثرة ذنوبه، و يقيم على ما يكره الموت من أجله... يخشى الموت، ولا يبادر الفوت»

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتُم الدنيا وأخرتُم الآخرة، ففكرهون أن تنقلوا من

الذي يقابله. وحيث إن كثيراً من الناس لا يؤمن إيماناً يقينياً بعالم الآخرة، ولا تطمئن قلوبهم نحو الحياة الأزلية، والبقاء السرمدي لذلك العالم، فإنهم يحبون هذه الدنيا، ويهربون من الموت حسب تلك الفطرة والجملة.

كما إن أكثر الناس تشد قلوبهم إلى تعمير الدنيا، وتغفل عن تعمير الآخرة، ولهذا لا يرغبون في الانتقال من مكان فيه العمران والازدهار إلى مكان فيه الدمار والخراب. وهذا ناتج من نقص في الإيمان والاطمئنان. وأما إذا كان الإيمان كاملاً، فلا يسمح الإنسان لنفسه أن يشغل بأموره الدنيوية المنحطة ويغفل عن بناء الآخرة.

٢- الجهل بالموت

عن الإمام الجواد عليه السلام - لما سئل عن علة كراهة الموت: «لأنهم جهلوه فكَرِهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عز وجل لأحبوه، ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا، ثم قال: يا أبا عبد الله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدهن والنافي للألم عنه؟ قال عليه السلام: «لجهلهم بنفع الدواء، ثم قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالي، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامة»

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١- ذكر أسباب الخوف من الموت
- ٢- التهيئة لساعة الموت
- ٣- أهمية الاعتقاد الصحيح بالموت في حياة الأمم

الهدف:

الحث على ذكر الموت

تصدير الموضوع:

عن الإمام علي عليه السلام: «والله لا بين أبي طالب أنس بالموت من الطفل بندي أمه».

بين شغف الإمام بالموت وخوف الإنسان منه

إن الإمام علي عليه السلام في كلامه هذا يؤكد شغفه بالموت، والحال أننا نعرف أن الإنسان بشكل عام يخاف الموت ويتعد عن ذكره، فما هو السر في شغف الأمير عليه السلام بالموت؟

نعرف ذلك من خلال معرفتنا لأسباب الخوف من الموت ففي الحقيقة إن للخوف من الموت أسباباً:

١- الخوف من الفناء والعدم

إن كراهة معظم الناس للموت وخوفهم منه لأجل أن الإنسان حسب فطرته التي فطرها الله سبحانه، وجملة الأصيلة، يحب البقاء والحياة، ويتنفر من الفناء والممات، وحيث إن في فطرة الإنسان هذا الحب وذاك التنفر، فإنه يحب ويعشق ما يرى فيه البقاء، ويحب ويعشق العالم الذي يرى فيه الحياة الخالدة، ويهرب من العالم

إليه يصعد الكلم الطيب

﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾^(٢).
﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوْ ابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٣).

كيف كانت حياتهم؟ كانت حياتهم حياة جهل وتخلف وتبعية، ولكن عندما جاء الإسلام، وغيّر نظرهم إلى الموت وما بعده، تغيّر العرب تغيّراً جذرياً، فانطلقوا في الدنيا بكل انشراح وقوة وغيّروا مجرى التاريخ بعد أن كانوا هملاً لا يخافهم أحد.

فيتبين مما مر أن ذكر الموت والتفكير فيه وعدم نسيانه ضروري للفرد والمجتمع، فهو صمام أمان للفرد، ودفع للمجتمع للتغيير، فشتان بين من يحسب الموت فناء ومن يقطع بأن الموت

حياة أخرى، فالأول جبان كما عليه اليهود. ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

﴿لَا يَقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥)، والثاني شجاع كما عليه أمير المؤمنين وأبناؤه في المقاومة الإسلامية، حيث يشقون الموت موت الشهادة فهو أشرف الموت، وهم يسعون لأن يكون أنسهم بالموت كأنس الطفل بثدي أمه، وذلك بزيادة معرفتهم بالموت وما بعده وبطاعة الله وعبادته.

ينزل به، وإن غاية تنقصها اللحظة، و تهدمها الساعة، لجديرة بقصر المدة، وإن غائباً يحدوه الجديدان: الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة، وإن قادما يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً إذا كان الموت هكذا بهذه الخطورة والمصرية ينبغي علينا أن ننتهي لتلك الساعة التي لا مفر منها لأي أحد.

عن الإمام علي عليه السلام: «و بادروا الموت وغمراته، و أهدوا له قبل حلوله، و أعدوا له قبل نزوله»

إن الإنسان الحكيم لا يغمض عينيه عن الأمور الخطيرة والمصرية ولا يفعل كالنعامة التي تضع رأسها في التراب متوهمة أن الذئب الآتي إليها لن يترسها! الإنسان الحكيم يتهيأ للأمور الخطيرة والمصرية ولا ينساها ولا يتناساها لأنها لا تنساه.

فالموت لا ينسانا وإن نسيناه أو تناسيناه «وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم»

اكتشاف ما بعد الموت يحيي أمماً وأفراداً

يقول بعض الفلاسفة: «إن اكتشاف الموت هو الذي ينقل بالشعوب والأفراد إلى مرحلة النضج العقلي أو البلوغ الروحي»^(١).

فعلاً إن قول هذا المفكر صحيح وتؤيده الوقائع التاريخية، للتدليل على هذه الفكرة نعطيكم مثلاً واحداً. الأمة العربية قبل الإسلام أكثرها كان منكراً للحياة بعد الموت، يقول تعالى:

عمران إلى خراب، فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أما المحسن منكم فكأن غائب يقدم على أهله، وأما المسيء منكم فكأن لا يقرب على مولاه....»

هذه الأسباب للخوف من الموت. خوف العدم والجهل بالموت وخوف العقاب - عالجه الإسلام حيث أحيا في القلوب الإيمان باليوم الآخر، وبذلك أبعد شبح الفناء والاندفاع من الأذهان، وبيّن أن الموت انتقال إلى حياة أبدية خالدة منعمة.

ومن جهة أخرى دعا الإسلام إلى العمل الصالح والابتعاد عن عصيان الله تعالى، كي يبتعد الإنسان عن الخوف من العقاب. ومن هنا نعرف سرّ شغف الإمام علي عليه السلام بالموت فهو عارف بحقيقة الموت وما بعده، وهو المطيع لله الذي لم يعص الله تعالى طرفة عين أبداً وهو الشهيد بل شهيد المحراب الذي صُرحَ بدمائه الطاهرة وهو بين يديّ الله يصلي، ولذلك قال حين ضربه اللعين ابن ملجم: «فزت وربّ الكعبة».

انتهى لساعة الموت

وكوننا نحن مؤمنين بالحياة بعد الموت وأنه ليس فناء وأنه قنطرة نعبورها إما إلى جنة وإما إلى نار كما عن رسول الله ﷺ: «الموت الموت ! ألا ولابد من الموت، جاء الموت بما فيه، جاء بالروح والراحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبته، وجاء الموت بما فيه بالشقوة والندامة وبالكرة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبته» وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «و ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن

(٢) سورة الجاثية، الآية/ ٢٤

(٣) سورة الصافات، الآية/ ١٧١٦.

(٤) البقرة ٩٦

(٥) الحشر ١٤

(١) انظر: تغلب على الخوف، مصطفى غالب